الباب الثاني

انهيار دولة بني أمية (١٢٥-١٣٢هـ/ ٧٤٣-٧٤٩م):

آذن نجم دولة بني أمية بالأفول، ومالت شمسها إلى المغيب..

فقد تولى خلفاء ضعاف انصرفت همتهم إما إلى اللهو والترف أو التنكيل بأنصار الخلفاء من قبله، كما في عهد الوليد بن يزيد (الوليد الثاني)، الذي مات مقتولاً على يد خلفه يزيد بن الوليد بن عبدالملك، ولم يعمر كل منهما فوق ستة أشهر امتلأت ظلماً وجوراً وفساداً.

ولقد تولى مروان بن محمد الخلافة في صفر ١٢٧ للهجرة في دمشق وهو الخليفة الأموي الرابع عشر والأخير.

ادعى مروان أنه خرج للمطالبة بدم الوليد الذي قتل على يد يزيد، خرج مروان على الخلافة الأموية في البداية وذهب إلى بلاد الجزيرة واستولى عليها، ثم سار إلى حمص ودخلها، فأرسل إبراهيم جيشاً من دمشق إلى حمص تمكن مروان من هزيمته، كما هزم جيشاً آخر، ثم ما لبث أن دخل دمشق، ونصَّب نفسه خليفة عليها، ثم انتقل إلى حرّان وجعلها عاصمة للخلافة، وهي قصبة ديار مضر.

ولم تلبث الفتن أن اندلعت؛ فثارت الشام، لكن مروان تمكن من إخماد ثورتها وقتل يزيد بن خالد.

وثار العراق بقيادة عبدالله بن معاوية الذي دعا أهل الكوفة إلى مبايعته بالخلافة في عام ١٢٧ للهجرة، وتمكن من التغلب على بلاد فارس.

ونهض الخوارج إلى الكوفة واستولوا عليها على يد الضحاك بن قيس الشيباني الذي تمكن من الاستيلاء على الموصل والعراق كله، وطرد عمال مروان منه.

ولكن مروان أرسل يزيد بن عمر بن هبيرة الأزدي عام ١٢٨هـ إلى العراق فهزم قوات الضحاك واستولى على العراق بعد أن لحقه الخليفة، وكانت تلك الهزيمة النكراء في وقعة نصيبين، كما هزم قوات شيبان الحروري بعد مساجلة استمرت عشرة شهور بالموصل، وفرّ شيبان إلى بلاد فارس، ثم إلى عمان حيث قتل سنة ١٣٤ للهجرة على يد العباسيين..

وثار أهل مصر حين ولى عليهم مروان الحوثرة الباهلي سنة ١٢٨ للهجرة، وكل هذه الاضطرابات أضعفت الخلافة، ومكنت للعباسيين من الانقضاض عليها وإنهاء الخلافة الأموية تمامًا وذلك سنة ١٣٢ للهجرة.

تكاد تجمع المصادر التاريخية على أن الصراع بين المضَرِيَّة واليمَانِيَّة هو العامل الرئيس في ذهاب دولة بني أمية.

وكان لاتجاه بعض الخلفاء إلى تولية العهد لأكثر من فرد واحد أثر في إذكاء روح التباغض بين الكيان الأموي؛ إذ حاول كل من وُلِّي العهد أن يتخلص من منافسه ليخلص له الأمر بلا منافس.

كان لهذه الاضطرابات الخطيرة أثرها في لفت أنظار أعداء الدولة الأموية، وخاصة بني هاشم الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر.. فنهض أحد فروع بني هاشم وهم فرع بني العباس، وينتسبون إلى العباس عم النبي ﷺ، يطالبون بحق آل البيت الهاشمي في الخلافة.

لكن يجدر أن نؤكد هنا أنه لا العباس عم النبي ﷺ ولا ولده عبدالله كان لهما مطمع في الخلافة، وما هو إلا ادعاء ممن تسموا باسم العباسيين.

ولقد مر بنا كيف اعتزل ابن عباس الفتنة بعد مقتل الإمام علي –رضي الله عنه– وكيف رفض مبايعة ابن الزبير، كما ارتحل إلى الطائف وظل بها حتى توفي عام ٦٨ للهجرة في عهد عبدالملك بن مروان.

كما أن ابنه علياً لم يطمح هو أيضاً في الخلافة، وكان يقيم في أطراف الشام إلى أن مات عام ١١٨ للهجرة.

يقال إنه في عهد ابنه محمد بن علي بن عبدالله بن العباس قصده أبو هشام عبدالله بن محمد بن الحنفية وأوصاه بأن يرثه في إمامة الشيعة.

ومضت الدعوة تشق طريقها في السر والكتمان، وجعل محمد بن علي للدعوة إلى بني العباس مجلساً للإشراف عليها يتكون من اثني عشر نقيباً.

ولم تلبث الشعوبية أن ظهرت تطالب بحقوق الشعوب التي أسلمت في المساواة بالعرب أو القبائل العربية.

وراجت الدعوة بين الفرس خاصة أنهم دخلوا الإسلام بأعداد غفيرة. وهم الذين احتقرهم الأمويون، وأطلقوا عليهم لفظ العجم أو الأعاجم أو العلوج أي الذين يتكلمون بلغة غير مفهومة، وسرعان ما اعتنق العجم التشيع، وهو حب آل البيت وخاصة علي بن أبي طالب.

وحين مات محمد بن علي بن عبدالله سنة ١٢٤ للهجرة كان قد أوصى بالإمامة لولده إبراهيم الذي عرف بالإمام، وأرسل الدعاة إلى الأمصار، وكان من أشهرهم أبو سلمة الخلال، وعبدالرحمن بن مسلم الذي أمر إبراهيم بقية الدعاة بطاعته؛ فأظهر الدعوة في رمضان سنة ١٢٩ للهجرة بعد أن كانت سراً، وما لبث حتى استولى على مرو، فأرسل نصر بن سيار قائد جيوش

مروان إلى الخليفة يستنجد به ويطلب منه المدد، لكنه أصم أذنيه لانشغاله بقتال الخوارج، فاستطاع عبدالرحمن (الذي تسمى بأبي مسلم) الاستيلاء على خراسان، وهرب نصر إلى الري وتوفي بها سنة ١٣١ للهجرة.

وتقدمت جيوش العباسيين وغزت فارس والعراق، ودخل عبدالله أبو العباس، الذي تولى بعد وفاة أخيه إبراهيم، الكوفة في ربيع الآخر سنة ١٣٢ للهجرة، وتسمى بأمير المؤمنين، وخطب مبيناً حق أسرته في الخلافة.

وحانت النهاية حين أرسل أبو العباس جيشاً عدته ثلاث مئة ألف إلى مروان، استطاع هزيمة جيش الأمويين قرب الموصل على نهر الزاب الأعلى في جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ، ثم طارد العباسيون مروان الذي هرب في ذي الحجة فلحقه جنود العباسيين وقتلوه شر قتلة..